هـــود

(وسيكون من الأقوام أقوام ، يغفلون عن الله كما غفل الأولون ، وسيكفرون بالله ، ويعبدون الأصنام ، والأوثان ، من دون الله ؛ وسيمتعهم الله ، وسيملى لهم ، ويمد لهم فى غناهم وفى أعمارهم ، حتى يغرقوا فى كفرهم ، حتى تحق عليهم كلمة الله ، فيمسهم منه عذاب أليم) .

* * *

﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(هود الآية ٤٨)

* * *

أولئك هم قوم : هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب .

* * *

فقد عاش فى جنوب الجزيرة العربية ناس ، كانوا فى نعيم ، وفى عز وترف ، وبسطة فى الأجسام والأموال .

﴿ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾

(الأعراف الآية ٦٩)

أجسام قوية ، متينة البِنْيَة . وصحة وعافية ، وخير وفير ، وجنات وبساتين ، ودور وقصور ، ذات أعمدة فارهة الطول ، بل إنهم نحتوا من الجبال بيوتًا ، ومن مجارى المياه ومساقطها ، مشروعات وخزانات ، تمكينًا للحياة ، وتوطيدًا للترف ، وتأمينًا من تقلبات الزمن ، أقاموها قوة واقتدارا ، وأبهة وافتخارا ، وعَبْثًا فى الأرض وفسادًا .

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾

(الشعراء الآيات ١٢٨/١٣٠)

قومُ عاد

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

(الفجر الآيات ٦-٨)

وزعموا أن شدَّادا من قوم عاد ، سمع بالجنة ، فأخذته العزة بالإثم وأبى إلا أن يبنى لنفسه جنة فى الدنيا ، تضارع جنة الآخرة ، وبناها فى رمال عَدَن ، وسماها إرمَ ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد .

ما رأى التاريخ ، مثل ما رأوْا ، ولاسعِدَ ناسٌ كما سعدوا ، ولا أترِف خَلْقٌ كما أترفوا .

ولكنهم ضلوا ، وتاهوا عن الله . وعبدوا الأصنام والتماثيل ، واتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله .

كفروا وأشركوا وجحدوا ما هم فيه من نعمة ، فاستحقوا العقاب والنقمة .

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾

(الإسراء الآية ١٦)

كذلك كان قوم عاد ، مع نبيهم هود .

* * *

أرسل الله إليهم نبيا منهم ، ليس غريبًا عنهم ، وهو طيب فى خُلقه ، محمود فى سيرته ، متمسك بدينه ، حكيم فى تصرفه ، حليم على من يؤذيه ، وهو ذو قلب رحيم ، وعاطفة سامية .

* * *

ونظر هود فى أمر قومه ، فبان له سوءُ حالهم ، وعُتُوُّ نفسهم ، وجهالة تفكيرهم ، فقال لهم : يا قوم

﴿ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾

(الأنبياء الآية ٥٢)

ولها تسجدون ؟ ولا تستحق منكم ما تقدسون ؟

أهذه الأحجار الصماءُ آلهة ؟ أين تفكيركم ؟ أغَيَّبْتُمْ عقولكم ؟

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾

(الأنبياء الآية ٦٦)

يا قوم ، اعبدوا الله الذى خلقكم ورزقكم ، ومنَّ عليكم ، وآتاكم ما لم يُؤت أحدًا من العالمين !

ولكن القوم عجبوا من قوله ، واستغربوه ، وتهكموا به ، وقالوا :

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(الأعرف الآية ٧٠)

فرد عليهم بقوله ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الأعراف الآية ٦٣)

﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ۖ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾

(هود الآيتان ٥١/٥٢)

* * *

وأدركهم العناد ، كما أدرك آباءَهم قوم نوح ، وأبوا عليه أن يؤمنوا ، إلا أن يأتيهم بدليل واضح ، وآية بينة ، على صدق رسالته وصحة دعواه ، وأصروا واستكبروا .

﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(هود الآية ٥٣)

بل طغوا فى إصرارهم ، وتجبَّروا فى عنادهم ، وافتروا كذبًا على أصنامهم وأوثانهم ، وادَّعَوْا أنها قادرة مقتدرة ، وأنها تبطش بمن يقاومها وبمن يدعو إلى دين غير دينها ، وأنها مسَّتْ بالسوءِ هودا ، فاختلط عقله ، واختبل تفكيره ، وهو من أجل ذلك يهْذِى .

﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾

(هود الآية ٥٤)

* * *

ولم يكن بُدٌّ من أن ينفض هود يده من هؤلاءِ الذين يَئستْ عقولهم ، وتحجَّرت نفوسهم ، وغرقوا فى الكفر إلى أذقانهم .

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾

(الأعراف الآية ٧٩)

ثم تحداهم ، ليعرف آخر ما يدخرون فى عناده من شدة ومجادلة

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾

(هود الآيتان ٥٥، ٥٦)

* * *

وكذلك أبى قوم هود أن يخضعوا ، وأن يؤمنوا : وكذلك حقت عليهم كلمة ربك ، فأنزل بهم عقابه وعذابه .

* * *

وكان عقابهم سحابًا أول الأمر ، فحسبوه نعمة ورحمة من ربهم ، فإذا هو نقمةٌ وعذابٌ نازلٌ بهم .

ثم كانت الريح الصَّرْصَرُ العاتية ، ريح السَّمُوم والحُسُوم ، عَفَرتهم بالرمال ، وملأت أعينهم بالحصا ، ثم عَنُفَتْ بهم ، فَسفَتْ عليهم ، وعلى دورهم ، فردمتها وردمتهم ، وحملت عليهم حملة مغبرة ، قلعتهم ، وقوَّضت ديارهم وقصورهم ، وطمرتهم فى جوفِ الأرض .

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾

(الحاقة الآيات ٦/٨)

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾

(هود الآية ٥٨/٦٠)

* * *